أشعيا ٤٠-٥٥ نبيّ الكلمة، التعزية والعودة

الأب أيوب شهوان
رئيس التحرير

أشعيا الثاني النبيّ

يُعتَبَر حزقيال نبيّ انطلاق مسيرة العودة من المنفى إلى "أرض الميعاد" الجديد، ونبيّ القراءة المتقدّمة للعديد من الموضوعات التي كانت تُعتَبَر من المسلّمات، وبالتالي رائد التكيّف مع الوضع الذي سبّبه اقتلاع بني إسرائيل من موطنهم، حيث كان الرب قد "غرسهم" فيه.

ويُعتَبَر أشعيا ٤٠-٥٥، أو "أشعيا الثاني"، كما يُسَمّى، نبيّ "التعزية"، المبشّر بنهاية المنفى، والداعي إلى الاستعداد للتأقلم مع الواقع الجديد المنتظر بعد أن تتحقق العودة. فمن هو أشعيا الثاني؟

ما نعرفه هو أنّه شخص مجهول! أمّا الفصول المنسوبة إليه، أي أش ٤٠-٥٥، فهي متماسكة ومترابطة في ما بينها، وترقى إلى نهاية المنفى، لعب واضعُها دورًا نبويًّا بين سنتَي ٥٥٠ و٥٤٠، مطلقًا أقواله في ظروف مختلفة، جمعت لاحقًا لتكوّن "أشعيا الثاني".

لا يتماهى كاتب أش ٤٠-٥٥ مع الأنبياء الذين سبقوه، أي أشعيا الأول، وإرميا، وحزقيال، من حيث أحداثُ حياتِه وأسرتِه. يفاجئنا وجود شخص غير يهودي في هذه الفصول، هو "قورش"، المحتلّ الفارسي (٤٤: ٢٨؛ ٤٥: ١)، كما أيضًا شخصٌ آخَر هو "عبد يهوه" وخادمه، العامل عنده وله، والذي قد يدلّ على شخص فرد، أو على جماعة. لا يتحدّث النبيّ في صيغة المتكلّم المفرد (أنا) إلاّ في ٤٨: ١٦ و٥٠: ٤-٨.

إلى مَن يتوجّه؟

حول هذا النبيّ نجد شعبَ الله، تارة باسم "إسرائيل"، و"يعقوب"، ٤٣: ١، ألخ، وطورًا باسم "صهيون"، و"أورشليم" (٥٢: ١؛ ألخ)، عروس الرب (أش ٥٤)، كما نجد عدوّه بابل (٤٧). وهناك أيضًا "الأمم"، و"الجزر"، و"أقاصي الأرض". وترتبط بهذه المجموعات أماكن معروفة، مثل بابل، وأورشليم، والبرية التي تفصل بينهما، والتي سيجتازها بنو إسرائيل في طريق العودة.

أحداث زمانه

يصوّر النبيّ أحداثَ زمانه بصورة انتقائيّة؛ فهناك تلك التي أدّت إلى شقاء إسرائيل الذي سُحق وأُذِلّ، والذي لا يزال كما كان (٥١: ١٧-٢٠). وهناك تلميحات إلى إبراهيم (٤١: ٨)، وداود (٥٥: ٣)، وذِكرٌ للخروج ولعبور البحر الأحمر (٤٣: ١٦-٢١). لكنّ النبيّ ينطلق من أحداث زمانه ليتطلّع إلى ما يهمّه بشكل رئيسيّ، إلى المستقبل المرجوّ، مستقبل العودة من المنفى، والمسيرة في صحراء يصفها بشكل يجعلك تعتقد أنك في الفردوس الأرضيّ، صحراء مملوءة زهورًا وعيون ماء (٤١: ١٨-١٩)، ويتكلّم أيضًا عن مدينة تغطّيها الحجارة الكريمة (٥٤: ١٢).

الربّ يتكلم

في هذا الإطار نسمع الربَّ يتكلّم، هو الذي يرى كلّ شيء، يفعل كلّ شيء، يحوّل كلّ شيء، أمّا النبيّ فيلعب الدور الذي أمره الرب بالقيام به، لذلك هو يؤكّد: "هذا ما يقوله الرب"، أي أنّه ينقل بدقّة الكلام الذي أوحاه الله له. إنّه النبي، حامل كلمة الرب وناقلها بكل أمانة. المطلوب ليس الأفعال والأعمال بل إيصال الكلمة. لا يهمّه ذاته، بل تنفيذ إرادة إلهه.

خاتمة

أطلّ أشعيا الثاني مُرسَلاً إلى شعب الله الذي كان قابعًا في الظلمة وظلال الموت، يسحقه القهر والضيق، وينتظر ومضةَ أملٍ تؤمّن له الحرية والتحرير. جاء هذا النبيّ يقرأ مجريات الأمور، ويتبيّن إرادة الله في أحداث التاريخ التي أجاد قراءتها وإدراجها في مشروع الله الخلاصيّ، متحدّثًا عن شخص يعطي حياته لخلاص شعب الله وكل البشر.